الوحدوية التي وجدت لتجسد هذا الحديث . أفلا ينبغي أن نجعل إيجاد هذه الحقائق هو المقياس الذي نقيس به صدق القول بالوحدوية ونقيس به جهد كل الوحدويين العرب في نضالهم اليومي ؟

إن العجز عن الفعل عند القادة يعني فشلهم ، مهما صدقت نواياهم . وإن **إرادة الفعل تعني التفاعل مع الأحداث في عملية متصلة**. ولا بد من إدراك طبيعة الحركة في هذه العملية المتصلة . وأذكر أن مناقشة جرت في ندوة علمية حول هذه النقطة وحول الحكم على مواقف القادة ، عرضت لتاريخ الحاج أمين الحسيني ، وتطرقت إلى نعي بعض من كتبوا عن تلك المرحلة على الحاج أمين قبوله منصب الافتاء في ظل الأنتداب البريطاني ، وقولهم إن هذا الموقف يسجل عليه . وقد جاء التعليق على هذا القول : دعونا نفترض أن الرجل لم يقبل هذا المنصب ونتصور ماذا كان سيحدث . اول ما يتداعى إلى الذهن أن الرجل لن يكون عند ذاك المفتي الذي تولى زمام قيادة شعبه من موقع الافتاء ، ونجح في شحذ الهمم وإحياء القوة الروحية ، وتوظيف المجلس الأعلى الذي يشرف على الأوقاف لصالح المقاومة . إننا ، في ظل هذا الأفتراض ، سنجد أنفسنا أمام سيرة أخرى . وإن الحكم **على المواقف التاريخية يجب أن يأخذ في الأعتبار بعدي الزمان والمكان ، وحقيقة أن أفكار تنمو وتتطور ضمن عملية متحركة « ديناميكية » ، كذلك فإن الحكم على القيادة التاريخية يجب أن يأخذ في الأعتبار قدرتها على الفعل وعلى الرؤية المستقبلية !!**

الفكرة الرابعة تتعلق **بالذات المستقلة وبالأصالة في الأنتماء** . ومفادها **أن اعتماد النظرة الشاملة في النظر إلى الأمور، وقيام الفكر بدوره في معالجتها، و إرادة الفعل والقدرة عليه في التعامل معها تصنع الذات المستقلة وتوجد الانتماء لهذه الذات فتتجسد الأصالة**

إن الفرد صاحب الشأن هذا، هو **ذات قائمة بنفسها أصيلة** ، تتميز عن الغير تماماً ، كما تتميز « **الأنا** » عن « الهوَ » . ولا **يمكن لهذا الفرد أن يكون « تابعاً » ، ولا يمكن له ، قبل ذلك ، أن يكون « قابلاً للتبعية »** ، ولا يمكن له أن ينسب إلا لذاته . فهو « هو » وليس تابع هذا ، أو تابع ذاك . وما يصدق على الفرد هنا يصدق بصورة أقوى على المجتمع .

العكس صحيح أيضاً ، فأولئك الذين ليس هذا شأنهم ، هم ذوات تابعة تفتقد الأصالة وتدور في فلك الآخرين ، ولا تنسب إلا مقترنة بهم . **ومن مظاهر تبعيتهم أنهم لا يستطيعون تصور الذات المستقلة والأصالة في الإنتماء** ؛ لذا نراهم ينظرون إلى الآخرين بمنظار « التبعية » . وهذا ما يفسر كثرة تردد نعوت التبعية في المجتمعات المتخلفة عند الحديث عن أشخاص ، أو أحزاب ، أو تجمعات . يجري الحديث عن فلان فيقال : هو غربي الميول أو شرقيها ، أو يستخدم لفظ أكثر حدة فيقَال هو كذا ( نسبة إلى دولة أجنبية معينة ) . وأحياناً يستخدم نعت بالغ الحدة فيقال هو عميل لهذه الدولة أو تلك . **ونلاحظ أن الحديث في كل الأحوال ينطلق من فكرة التبعية** . ويجري الحديث عن حركة أو ثورة فيكون أول ما يتبادر إلى ذهن هؤلاء أن يتساءلوا عن هويتها أغربية أم شرقية ؟ أهي تابعة لدولة كذا أو لدولة كذا ؟ ويلفت النظر أن الأوساط الإستعمارية تشجع هذا التوجه لدى هؤلاء وتنفخ فيه لأنه يمكنها من النفاذ ولأنه يغذي « القابلية للإستعمار » عند أصحابه .

يجب الإقرار ، بأسف ، أن الحياة السياسية في وطننا العربي تعاني من هذه الظاهرة إلى